

ما هي صفات الدبلوماسي الناجح؟

فبراير 2017

وينبغي أن يعرف عادات وتقاليد وتاريخ مستضيفيه معرفةً تامةً وشاملةً. وأن يكون قادراً على وضع نفسه في مكان مُحدّثه.

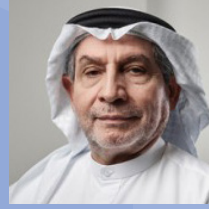
وكَتَبَ هارولد نيكولسون بعد الحرب العالمية الثانية بأن "الصفات الرئيسية للدبلوماسي هي الصدق والإتقان والهدوء والتواضع". وقال اللورد جوري بووث، رئيس الإدارة الدبلوماسية البريطانية، في 1974 إن الدبلوماسي المثالي "يجب أن يكون قادراً على أن يختلق أي شيء، ويأكل أو يشرب أي شيء ويظهر كما لو كان يحبه، وألا يندھش من أي شيء، وأن يتم كل ما سبق دون أن يفقد القدرة على مراعاة مشاعر الآخرين أو الشجاعة". ويذكر السير كريستوفر ماير، سفير بريطاني سابق في واشنطن، أن صفات الدبلوماسي هي الفضول النهم عن الدول الأخرى والقدرة على تحليل المعلومات والإبلاغ عنها بدقة وبسرعة بما في ذلك الأخبار التي لا ترغب حكومة دولته في سماعها. والأهم من كل ذلك أن الدبلوماسي يحتاج إلى "عقل سريع البديهة، ورأس صلب، ومعدّة قوية، وابتسامة حانية ونظرة باردة".

اللِّبَاقَة لها أهمية أيضاً. وكما عبّر عنها إسحاق نيوتن فإن "اللِّبَاقَة هي موهبة إثارة نقطة دون إثارة عداوة". وقد قيل إن الدبلوماسي يجب أن يفكر مرتين قبل ألا يقول شيئاً. أو بحسب تعبير ونستون تشرشل "الدبلوماسية هي فن أن تقول للناس اذهبوا إلى الجحيم بطريقة تجعلهم يسألونك عن الاتجاهات".

يطرح بعض المحللين مجموعة مهارات أقل التزاماً بمعايير الشرف والأمانة. حيث يرى تشارلي هيل، الأكاديمي الأمريكي، أن الدبلوماسيين الأكثر نجاحاً هم الدبلوماسيون الذين لديهم الاستعداد لمخالفة القواعد والتظاهر من أجل خدمة قضيتهم العليا. فكل من كاقور، وكاردينال ريتشيليو، وتاليراند، وأوليفر كرومويل كانوا جميعاً لا يلتزمون بمعايير المسؤولية الأخلاقية ولكنهم كانوا مؤثرين. ولهذا هل كان السير هنري ووتون، دبلوماسي إنجليزي في أواخر القرن السادس عشر، محقاً عندما قال مازحاً إن الدبلوماسي هو "شخص أمين ابتعث للخارج ليكذب لمصلحة دولته"؟

نحن لا نعتقد ذلك. لَعَلَّ أفضل الدبلوماسيين هم الذين يعرفون متى يصمتوا أو متى يقتضبوا في الحديث ولا يقولون كل شيء؛ فلا يوجد مفاوض مُحْتَكٌ يبدأ التفاوض بإلقاء كل أوراقه على الطاولة. ومع هذا فإن الأمانة كانت - ولا تزال - واحدة من أهم صفات الدبلوماسيين. في المفاوضات، ينجح الشخص أو يخفق بناءً على سمعته ومقدار الثقة فيه. وكما ذكر هارفي ألفاند، سفير فرنسي سابق في واشنطن، فإن "الدبلوماسي هو شخص يستطيع أن يقول الحقيقة لأي شخص في الحكومة المعتمد لديها دون أي إهانة له ولأي شخص في حكومة دولته مع المجازفة بإهانتته".

لَعَلَّ أفضل نصيحة للدبلوماسيين في كل زمان هي ما ورد في الرسالة التي كتبها جيمس هاريس، أول إيرل لمنطقة مالمسبيرري وسفير سابق



السفير عمر البيطار
نائب رئيس أكاديمية
الإمارات الدبلوماسية



توم فليتشر
مستشار في أكاديمية
الإمارات الدبلوماسية

منذ قرون بعيدة، يعتمد الدبلوماسيون على عدّة مهارات لتحقيق أهداف قادتهم. تستعرض هذه الخواطر الدبلوماسية العناصر الأساسية التي يعتبرها الدبلوماسيون على مدار التاريخ الأصول المهنية للدبلوماسية بدءاً من الصبر والشجاعة حتى اللباقة والإبداع. ومن هذا المنطلق، فإن أكاديمية الإمارات الدبلوماسية تسعى إلى إعداد وتأهيل دبلوماسيين قادرين مهنيّاً، ومؤثّرين فيمن حولهم، وملتزمين أخلاقياً حتى يستطيعوا مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين.

لم يكن يساور الفينيقيون - والذين ينظر إليهم غالباً باعتبارهم أول من مارس الدبلوماسية الرسمية - أي شك حول ما يريدونه من بعثاتهم. ففي عام 1566 كَتَبَ أوتافيانو ماجي، متخصص في الشؤون الإنسانية ودبلوماسي، أطروحةً عن "الدبلوماسي المثالي". حيث سرد الصفات المثالية للدبلوماسي في حقبة الدول الإيطالية المكونة كل منها من مدينة واحدة بأن الدبلوماسي شخص "مؤهل في الشؤون الدينية، ولديه إلمام بالفلسفة اليونانيين، وخبير في الرياضيات، وكفء في القانون والموسيقى والشعر، ويجيد اللغات الإغريقية واللاتينية والفرنسية والألمانية والإسبانية والتركية، ومن أصول أرستوقراطية، وثريّ، ووسيم". وهذه مهارات مرهقة لأي شخص منا.

أمّا روسو دي تشاموي، محلل دبلوماسي في القرن السابع عشر، فكان يرى أن الدبلوماسيين يُحكم عليهم بمقدار ضخامة مآذهم، ونبل أصلهم، وحُسن مظهرهم. هذه الصفات لم تعد على الأرجح هي المعايير الرئيسية!

حاول البريطانيون في القرن العشرين تطوير هذا المفهوم. حيث بيّن إرنست ساتو في كتابه، والذي لا يزال المرجع الدبلوماسي الرئيس، أن المقومات الأساسية لفن إدارة شؤون الدولة وهي "الشخصية الوطنية والطبيعة الإنسانية" ثابتة لا تتغير. ودُكر أن السمات الأساسية للدبلوماسي هي الانفتاح والجدية، والتواضع، وروح الفكاهة والحفاظ على الهدوء عند التعرض للضغوط. كما أن الدبلوماسي يجب أن يكون حَصبياً وصبوراً؛ فلا يبالغ في الحَجَل ولا يُفِرط في الإثارة والانفعال.

إلى روسيا وبروسيا وفرنسا، في 1813 إلى اللورد كامدن متضمناً نصيحة لابن أخيه الذي كان على وشك أن يبدأ مسيرته الدبلوماسية. ويتضمن كتاب الإدارة الدبلوماسية البريطانية بين 1815 إلى 1914 لمؤلفه رايموند جونس فقرة يلخص فيها الإيرل تاريخاً طويلاً من التلمذ على أيدي دبلوماسيين كبار حيث أشار إلى أن "أفضل مدرسة هي الفائدة التي يستنبطها من ملاحظاته". ولكنه أسدى إليه بعض الأقوال الحكيمة أيضاً:

- **قادرين مهنيًا** ماهرون: لديهم إتقان كامل للمهارات الدبلوماسية التقليدية (ومنها تعلم اللغات، والتواصل كتابياً وشفهياً، والتفاوض، والتعارف وإقامة العلاقات، وإدارة الأزمات، وتقديم الخدمات القنصلية) وأن يكتسبوا المهارات الضرورية للقرن الحادي والعشرين (ومنها استخدام وسائل تقنية المعلومات والبيانات الضخمة وإدارة العلامات المُميّزة والعلاقات العامة وتنفيذ حملات الترويج واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي).
- لديهم فطنة: يحسنون التدبير في مختلف المواقف ويتحلون ببراعة فائقة ويحظون بثقة رؤسائهم.
- واسعوا المعرفة: لديهم معرفة واسعة وفهم شامل للشؤون الدولية وكذلك شؤون دولتهم ولديهم نهم تجاه تعلم المزيد.

مؤثرون فيمن حولهم

- قادة: يستطيعون أن يصيغوا رؤية، ويقوموا ويحشدوا شبكات التفاعل والعلاقات والتحالفات لتحقيق أهداف محددة، ويمكنهم تنظيم وتحفيز الموظفين وذوي العلاقة لإنجاز هذه الأهداف.
- بارعون في التواصل: يستمعون بكل إنصات، ويبنون الثقة من خلال التحلي بصفات الأمانة والأصالة والصدق، ويستطيعون إقناع الآخرين عند الكتابة أو التحدث في مختلف وسائل الإعلام.
- مبتكرون: مبدعون، ويركزون على النتائج، ويفكرون تفكيراً نقدياً وخارج الصندوق، ولديهم القدرة على سهولة التكيف مهما تغيرت الظروف.

المسؤولية الأخلاقية

- الشجاعة: لديهم القدرة على مواكبة الضغوط والاستعداد لنقل الحقائق المرّة.
- الانضباط: ملتزمون بالمواعيد دائماً، ويمكن الثقة فيهم والاعتماد عليهم، ويعملون بجد، وحسنوا المظهر.
- النّفاة: يتحلون بقدر عالٍ من النزاهة، ويفتأون في العمل للارتقاء بمصالح الدولة، ولديهم سَعَفَةٌ لتعزيز التعاون الدولي.

من حُسن الحظ أن هناك الكثير من الشخصيات العظيمة والقُودات التي يستطيع الطلاب أن يتعلموا منها. ولا تقتصر هذه الشخصيات على شخصيات تاريخية وحسب وإنما تشمل دبلوماسيين معاصرين ينقلون خبراتهم وآرائهم وأفكارهم إلى الطلاب. وهؤلاء الدبلوماسيون يساعدون دبلوماسيي المستقبل ليس في فهم الأصول النظرية لفن إدارة الدول وحسب ولكن في ممارسة الدبلوماسية أيضاً.

إن لم تكن الدبلوماسية موجودة من قبل، فلا بد من ابتكارها. وستزداد أهميتها في القرن الحادي والعشرين. ولذا فإننا نتحمل مسؤولية إعداد وتأهيل دبلوماسيي المستقبل من المواطنين وتزويدهم بالمهارات الضرورية ليناضلوا من أجل إعلاء قيم السلام والتسامح والتعايش. وينبغي أن يتعلم الدبلوماسيون الشباب من التاريخ ومن الأجيال السابقة من الدبلوماسيين سواء من هذه المنطقة أو من مختلف أنحاء العالم، مما يرتقي بهم إلى المكانة التي تجعل الأجيال القادمة من الدبلوماسيين تفخر بالتعلم منهم.

"أفضل وأول نصيحة أسديها لشباب على أعتاب مسيرته المهنية هي أن ينصت ولا يتحدث - على الأقل لا يتحدث أكثر مما هو ضروري - ليشرح الآخرين على التحدث. استطعت على مدار حياتي من خلال الالتزام بهذا الأسلوب أن أحصل من خصومي على معلومات غزيرة وأن أخفي عنهم وجهات نظري أكثر بكثير مما كان بإمكانني تحقيقه من خلال تجنيد الجواسيس أو استخدام الأموال..."

أن تكون حذراً جداً في أي دولة أو في أي بلاط ملكي، بعد أن تصل مباشرة، بحيث تبدو الأكثر حرصاً على تعارف الآخرين عليك ونقل أفكارهم إليك. ودائماً كنت أجد مهنتهم لا تنطوي على إخلاص وذكاءهم يخونهم. لقد كانوا أول من كنت أتمنى أن أتخلص منهم، ودائماً كنت أظهار بالثناء على إخلاصهم. هؤلاء أشخاص إما ليس لهم اعتبار أو احترام في دولهم، أو وُضعوا في طريقك لكي تتعثر فيهم ويعيقوا حركتك كشخص وصل للتو...

لا تحاول أبداً تصدير عاداتك وأدابك ولكن التزم بقدر الإمكان بالعادات والآداب السائدة في الدولة التي توجد فيها، ولكي تحقق ذلك حتى في أكثر الأشياء تفاهة تعلم لغتهم ولا تستهزأ أبداً بأي شيء قد تباغتك غرابته وعبثيته. ولا يوجد أي شيء يسترضي السكان أكثر من أن تندمج أو تتفاعل معهم بصورة أكثر وداً وهذه تضيحة بسيطة للغاية وهي التحلي عن انحيازاتك الوطنية من أجل احترام انحيازاتهم...

لا تنجرف وراء أي ميزات حقيقية أو متخيلة من صاحب السلطان الذي توجد في بلاطه الملكي أو تتخيل لمجرد أنه قال بعض العبارات المعتادة لك أكثر مما قاله لزملائك أنه لديه مَيَلٌ شخصي وخاص تجاهك أو أنه أكثر استعداداً لتقبل وجهات نظر ومصالح بلدك مما إذا كان لم يلاحظ وجودك إطلاقاً...

في الاجتماعات الوزارية، استجمع كل قوى الذاكرة لتتقل ما تسمعه نقلًا أمينًا وسليماً (ما تقوله بنفسك في هذه الاجتماعات لن تنساه أبداً) وعند كتابة تقريرك توخى أقصى درجات الحيطة والحذر للالتزام بصحة المعلومات ودقتها. وأشدد على ذلك كثيراً (وهذا من نافلة القول على ما يبدو) لأنها غواية جذابة للغاية وإغراء نستسلم له في الغالب دون أن ندري في معظم الأحيان من أجل أن نحسن صياغة عبارة أو لتعزيز مهارتنا في التفاوض، ولكننا يجب أن نتذكر أننا نضلل ونخدع حكومة دولتنا نتيجة لها".

يتبين مما سبق أن أهم المهارات الدبلوماسية يمكن تلخيصها في القدرة على التكيف مع المتغيرات، واللباقة، والفضول، وحسن التدبير، والشجاعة، والقدرة على التعامل مع أي شخص.

إن الهدف الذي نصبوا إليه في أكاديمية الإمارات الدبلوماسية هو إعداد وتأهيل جيل من الدبلوماسيين المتميزين؛ جيل لديه القدرة على التغلب على التحديات التي لا تواجه دولة الإمارات العربية المتحدة وحسب وإنما المجتمع الدولي أيضاً. ونعتقد أن دبلوماسيي المستقبل الذين يمثلوننا يجب أن يكونوا قادرين مهنيًا، ومؤثرين فيمن حولهم، وملتزمين أخلاقياً.